المغارة والكنز

عماد حسن الشافعي
رسوم عطيه الزهيري

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة ـ بجوار جامعة الأزهر ت: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

« المغارة والكنز»

يُحكى أن «عبد الله بن جُدْعَان » كان صُعلوكاً شِرِّيراً، يشربُ الخمر، ويمارس اللَّهوَ، ويرتكبُ المُوبقات وكان فقيراً عاطِلاً لايُجيدُ صنعةً، ولا يحترفُ التجارة، ولا يرعى غنماً.

وكان يعيشُ عَالةً على أبيه وأهله.

ولم يستطع أبوه تقويمه أو إصلاحَ شأنه، فضاقَ بتلك العَرْبدةِ وبهذا الكسل ، وضاقتْ عشيرتُه به.

وذات ليلةٍ رجع عبد الله يترنَّحُ من السُكْرِ، فسأله أبوه:

أين كنت؟

رد الشابُ: كنتُ مع أصدقائى.



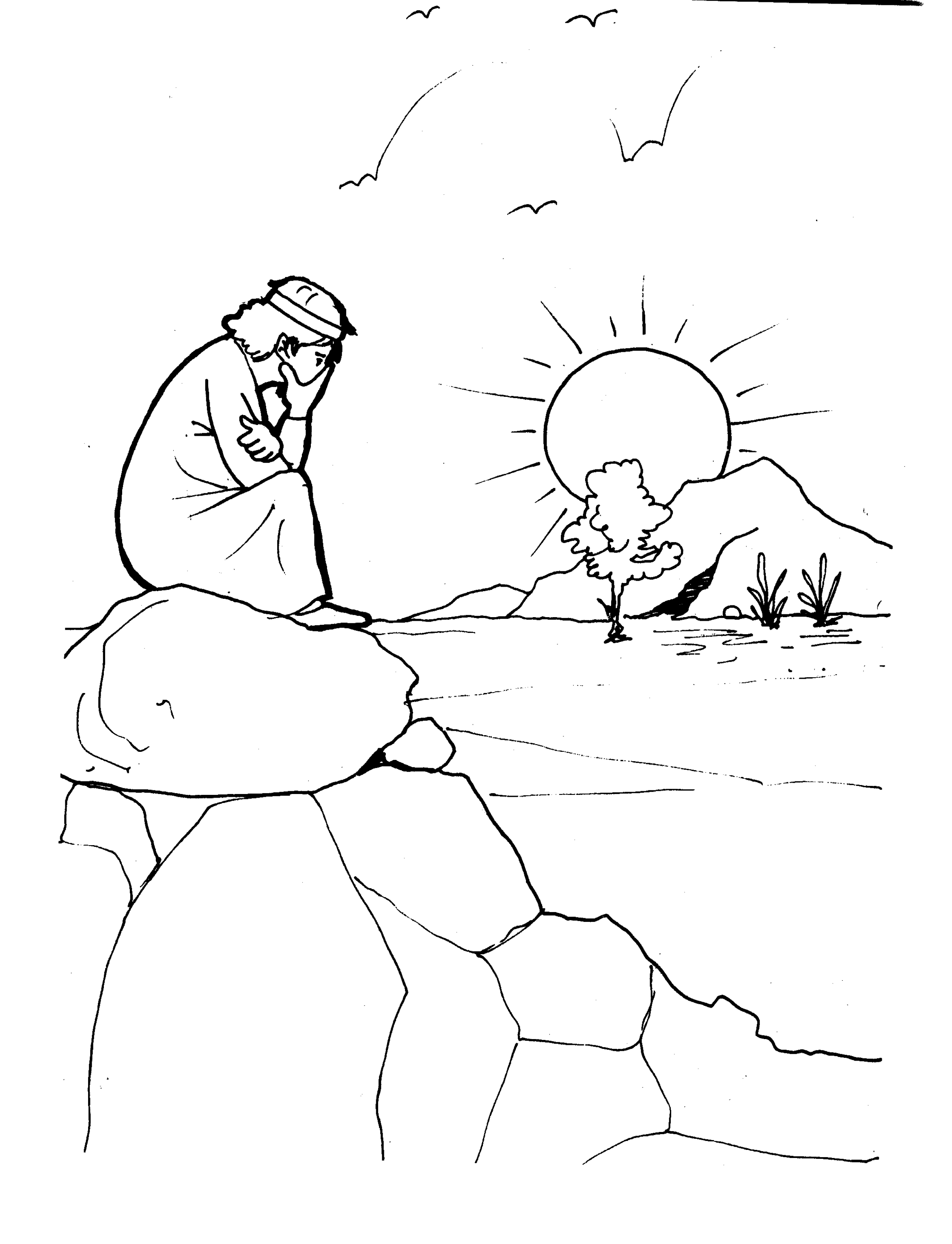
قال الأب فى غضب: كل يوم تتسكعُ، وكلُ ليلة تسهر مع أصدقائك العاطلين الذين لا عمل لهم إلا المجُون واللعب . . هذا حال لا يُطاق، اخرجْ من هنا ولا تُرِنِّى وجهك، واهجرنى بعد اليوم ملِيًّا. .

فخرج عبد الله فى شعاب مكة ثائراً حائراً يتمنى الموت أن ينزل به، أو تهوى به الريحُ فى مكانٍ سَحيق حتى لا يرجع إلى البيت أو يُريهم وجهه.

وقضى ليلهُ هائماً فى الصحراء، حتى طَلَع الصباحُ، وجلس على رَبْوةٍ عالية يُفكر فى الخلاص من حياته. . وتساءل أين يذهب وأى البلاد يَقّصِدُ؟!

وأحسَّ بالجوع فنظر حوله، فرأى عند سَفْحِ الجبل، شجيراتٍ هزيلة وأعشاباً ذاتَ أزهارٍ، فتوجه نحو الجبل لعله يجد فى الأشجار ثماراً تُذْهِبُ عنه الجوعَ والعطشَ.

وعندما اقتربَ من المكان رأى شَقّاً فى الجبل، فقال: هذا كهف أو مغارة، ولابد أنه مأوى للسباع أو الحيات. الآن



سأودع هذه الدُنيا وهذه فرصتى فى الخلاص من العار الذى يلازمنى فى حياتى. ودخل الغارَ مَستسلماً يائساً بائِساً، فإذا فيه ثعبانٌ عظيمٌ له عينان واسعتان تُشعَان بريقاً قوياً كأنهما سِراجين، فأصابته رعشةٌ خفيفةٌ، ولكنه تماسكَ قليلاً.

ثم دَنَا منه خُطوةً على خَوْفٍ وحَذَرٍ فلم يتحرك الثُعبان، وتحرك خطوةً أخرى.. فلم يتحرك الثعبان أيضا..

كان عبد الله بن جدعان يريد إثارة الثعبان العظيم حتى ينقضّ عليه ويقتله ليستريح من هذه الدنيا التى طرده منها أبوه، ومن هذه الحياة التى يعيشُ فيها عاطلاً عِربْيداً.

ثم خطا نحوه خُطوةً أخرى، فلم يحدث شىء، ولم يحركُ الثعبانُ ساكناً، فاستردَّ عبدُ الله رَباطَةَ جَأْشِهِ، وذهب عنه بعض الخوف ـ إنه لا يزالُ يخشى الموت برغم أنه يطلبه مُضْطراً.

وبدأ يفكر فى الأمر.. وينظر إلى الثعبان، وإلى عينيه اللتين تُشعان بريقاً هائلاً كأنهما مصابيح قوية.



ووقع فى نفسه أنه ثعبان مصنوع وليس حَيّاً، فاقتربَ منه وأمسكه بيده، فإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان، فَدُهشَ عبد الله، وصاح بفرحة طاغية: ذهب!! .. وياقوتُ!! حمداً لك يارب.

وعادت إليه الحياة، وذهب عنه الهم والحَزَنُ، وأشرق الأملُ أمامه من جديد.

مشى عبد الله بضعة خُطوات، وأدار عينيه فى المكان فَاحِصاً مُكْتشفا، فاستْلفتَ نظره جُدْران الكهف. فقد كانت ناعمةً ملساءَ، وأن المكان أشْبَهُ مايكون بقاعة كبيرة.

وفجأةً لمحَ مايُشبه باباً من الصخر في عُمْق الكهف، فتقدم نحوه وأزاحه بكل ما أُوتىَ من قوة، فتزحزح الباب قليلاً، وأحدث صريراً مكتوماً، ودخل من الباب.

فوَجَد مايُشبه بيتاً داخل الغار، فاستقبلته رائحة عَطِنةٌ عتيقةٌ، وأتربةٌ قديمة ، وزخمٌ. وشعر بالامتعاض. وأصابه سُعالٌ.



ودخـــل البيت بشوقٍ وحَـــذَرٍ، ونظر حوله فرأى جُثثًا مصــفوفةً على سُرر، وفى قـــوالب خشبـــية، لم ير مثلها من قبلُ فوقفَ غيرَ بعيدٍ من الجثث يتأملها، ويفكر..

ورأى عند رؤسهم لَوْحٌ من الفضة عليه نقوشٌ ورسومٌ، وأدرك أنها كلماتٌ تحكى تاريخهم.

أخذ يُدقِّق النظر فى وجوه الجثث المحنَّطةِ، والملفوفة فى ثيابٍ بَليت من طول الزمن، ومدَّ يده يتحسسها فإذا بها تصيرُ هباءً منثوراً.

أدرك عبد الله أن أحداً لم يُدخل هذا المكان منذ زمن طويل ودقَّق نظره فى اللوح الفضىّ يحاول فكَّ رُموز هذه الطلاسم المكتوبة، وقال:

« لابد أنه تاريخ أجدادى.. وربما كان هؤلاء رجال من ملوك جُرْهُم» وتفقد المكان، فوجد صناديقاً كبيرةً من خشبٍ متين.



وفتـــح واحداً منها، فهالهُ المشـهدُ، وصـــاح مذعوراً: ياإلهى!!.. ذَهَبٌ ؟!.. ذهبٌ؟!.. حمداً لك يا إلهى.

وفتح صُندوقا آخر فوجد به فضة، وفتح الصناديق الأخرى فإذا بها ياقوتٌ ولؤلؤ.. فطار صوابه وهو يتنقل من صندوق إلى آخر فى ذُهولٍ وحَيْرةٍ وفَرْحةٍ..

ويردِّدُ بلا وعى: ذهب .. وفضة.. وياقوت؟!..

كل هذا المال: حمداً لك يارب.

وعلا صوته وهو يكلم نفسه: معقول هذا الذى أراه.. هل أنا فى يقظة.. أم أننى أحلم؟!.. لا .. لا.. . لابد أننى أحلم. ومسَحَ وجهه بيديه، وأغمض عينيه، وفركهما ثم فتحهما وهو لا يكاد يصدِّقُ نفسه.

وجلس على صندوق وراح يفكر: ماذا يعمل الآن؟!

إنه خرج من بيته مطروداً من رحمة أبيه وقومه،



ومنبوذاً من عشيرته بسبب طَيْشِهِ وفقره.

وقال : لا ينبغى أن أعود إليهم الآن ـ وأخذ بضعة قطع ذهبية وأخرى فضية، وأغلق الباب، ثم خرج من باب المغارة يُرسلُ نظره إلى الأُفق، ويرمى ببصره إلى الصحراء الشاسعة ليرى هل يراه أحد..

ولم يكن أمـــــامه سوى الرمـــال والجـــبالُ، والوديانُ، والسماءُ الصـــافيَة والشمسُ التى كانت تميل إلى الغروب.

وأدرك أنه مكـــث فى الكهف ســحـــابةَ النهار.. دُون أن يشعر بالوقت وجلس يفكر أين يذهب؟! وماذا يعملُ بهذا الكنز العظيم الذى تركه الأجـــــداد، وتركوا معه تاريخهم؟!

وتوجَّه إلى بلدة مجاورة، وأقام له داراً فيها، وراح يذهب إلى المغارة كل صباح، ويعود مع العشىّ مُحمَّلاً بالأموال.



وأرسل إلى أبيه بالمال يسترضيه ويستعطفه، حتى صَفَح عنه وسامحه، وعاد إلى أبيه مُحمَّلاً بالأموال، ووصل عشيرته كلها ، وأقاربه جميعاً فساد القوم.

وجعل يُنفقُ من ذلك الكَنْزِ، ويُطعم الناسَ، ويفعل المعروفَ وأصبح عبد الله بن جُدْعَان سَيِّداً، وأميراً على عشيرته وقومه.

« تمـــــت »